الإعجاز العلمي في القرآن
بين الوهم والحقيقة

الشيخ قصي العجيلي
طالب علم في حوزة النجف الأشرف
م. م علي أبو نؤاس
تدريسي في الكلية التربوية المفتوحة – تربية بابل

Scientific Miracle in the Quran Between Illusion and Reality

Qusay Al-Ajili
Student at the Najaf Seminary
Asst. Lect. Ali Abu Nawas
Open College of Education - Babylon Education

ملخص البحث

لّما كان القرآن الكريم المعجزة الخالدة والدستور الإلهي للشريعة الخاتمة شريعة النبي الأعظم (ص) كان البحث عن وجوه الإعجاز التي يحويها الكتاب العزيز أمراً محْورياً لِما في ذلك من دخالةٍ في إثبات أصل حقانية الشريعة المحمّديَّة الغرَّاء، والوجوه الدالّة على إعجازه متنوعة فمنها: ما يتعلّق بفصاحته وبلاغته، ومنها ما يتعلّق بوحدة نظْمهِ ومضمونه، ومنها ما تضمّنه من شواهدَ دلّت على سبقهِ للبشرية في ذكرِ حقائق كونية وعلمية، أو ما يُعرف بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم حتى يكون بذلك كتاباً مُعْجِزاً لجميع البشرية مع قطع النظر عن الزمان والمكان والثقافات والحضارات.

وهذه مُحاولة للوقوف على إثبات هذا المعنى إمّا عبر عرض الحُجج الدالّة على احتواء الكتاب المجيد كلَّ شيء ولو بنحو الشفرات والرموز فيكون المفكك لهذه الشفرات والمُكتشف لها من خاطبهم القرآن الكريم خاصة دون غيرهم، أو عبر عرض بعض الشواهد الدالّة على سبق القرآن العلمي، التي أشار إليها بعض الأعلام من المفسرين مع مراعاة عدم التكلّف في تحميل الآيات أكثر من معناها الظاهر.

وعليه تحاول هذه الدراسة إبراز شيء من عظمة القرآن العظيم.

Abstract

Since the Holy Quran is the eternal miracle and the divine constitution of the final Sharia, the Sharia of the Greatest Prophet (PBUH), the search for the aspects of the miracle contained in the Noble Book is a pivotal matter. It involves proving the origin of the truthfulness of the pure Muhammadan Sharia. The aspects indicating its miracle are diverse, including its eloquence and rhetoric, unity of its organization and content, and evidence indicating its precedence over humanity in mentioning cosmic and scientific facts, or what is known as the scientific miracle in the Holy Quran. Thus, it is a miraculous book for all humanity, regardless of time, place, cultures and civilizations.

This is an attempt to stand on proving this meaning, either by presenting the arguments indicating that the Glorious Book contains everything, even in the form of codes and symbols. Thus, the decipherer of these codes and the discoverer of them is one of The Holy Qur'an addressed them specifically, and not others. It can also be through presenting some evidence indicating the scientific precedence of the Qur'an, which some prominent commentators have pointed out, while taking care not to burden the verses with more than their apparent meaning. Accordingly, this study attempts to highlight some of the greatness of the Great Qur'an.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي أنزله على عبده ولم يجعل له عوجاً، كتاب أحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير

وأفضل الصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين، فجعله السراج المنير لكافة خلقه ليهتدوا بهديه ويستضيئوا بنور معرفته، وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

أمّا بعد، فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم وجعله معجزته الخالدة على حقانية شريعته وصدق نبوة رسوله (ص)، فكان من فضله علينا ورحمته بنا أن منَّ علينا بالإسلام وأنعم علينا بأفضل فرقان ألا وهو القرآن الذي فيه لكل شيء بيان، فكان منزهاً عن كل إختلاف أو نقصان، وقد اشتمل القرآن الحكيم على كثير من الآيات الكونية ذات الدلالات العلمية، فكان بها مخاطباً للعقل مُرشداً له إلى معرفته والإيمان به.

إذ كلما كان المرء أكثر علماً كان أكثر إيماناً ويقيناً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (١)

وقد استعرضت في هذه الدراسة الأدلّة القرآنية والروائية التي دلّت على اشتمال القرآن الكريم لجميع العلوم والمعارف، ثم ذكرت شواهد من آيات قرآنية مُشيرة إلى حقائق كونية ودلالات علمية، تبيّن عظمة الكتاب العزيز وشموليته وسعة مساحة إعجازه.

وقد رُتّبتْ الدراسة على ثلاثة فصول سبقها مبحث تمهيدي

تعرّضت فيه لبيان فضل القرآن على سائر الكلام، وفضل قراءته، والتدبّر فيه، وبيان معنى الإعجاز لغةً في اللغة والاصطلاح، ثم بيان أهمية الدراسة.

وأمّا فصول الدراسة فقد تم ترتيبها على الآتي:

حيث جاء الفصل الأول لبحث حقيقة الكتاب المبين فكان مشتملاً على ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول منه المراتب الوجودية للقرآن الكريم، والثاني كان الكلام فيه عن مفهوم الكتاب المبين، أمّا الثالث: فقد تعرّضت فيه لخصوصيات الكتاب المبين.

وتناول الفصل الثاني: النظريات المطروحة في كون القرآن مشتملاً على كل شيء بنحو العموم أو لا، فذكرت كلمات جملة من المفسرين من كلا الفريقين، ثم عرضت بعض الملاحظات التي يمكن تسجيلها على النظرية الأولى، وبعد ذلك تناولت الأدلّة القرآنية والروائية التي يمكن استفادتها في إثبات النظرية الثانية.

فيما بيّن الفصل الثالث: تمهيد ذُكرت فيه بعض الشروط التي يلزم توافرها عند تطبيق دلالات الآيات القرآنية على ما توَّصْل إليه العلم الحديث. ثم التعرّض لمبحثٍ تناول شواهد الإعجاز العلمي في القرآن، فذكرتُ فيه ثمانية شواهد مراعياً في ذلك الاختصار، وإلاّ فإنَّ في القرآن من المعارف ما يبهر العقول، ويرشد إلى طرفٍ من كوامن أسرار الحياة، فهي تنم عن خِضم بحرٍ لا ينفد، وعن مخزون علمٍ لا يتناهى.

نعم إنها شذرات بدت من طي كلامه تعالى، ورشحات فاضت من عرض بيانه.

ثم ذكرتُ خاتمة مُبيّناً فيها أبرز النتائج وأهم التوصيات.

مبحث تمهيدي وفيه مطالب

المطلب الأول: فضل القرآن على سائر الكلام.

من عظيم الخير أن يقف الفرد دون الدخول في هذا المضمار، وأن يتصاغر أمام هذه العظمة الربانية والمُعجزة الإلهية، إذ ماذا عسى الداخل في هذا الباب أن يقول في وصف عظمة القرآن العظيم وعلو منزلته وسمو مقامه؟، وأنّى للممكن المُتناهي أن يدرك كلام الواجب اللامُتناهي؟.

ويكفي للقران عظيم المنزلة وعلو المقام أنّه المعجزة الإلهية الخالدة على مر العصور والدهور.

وقد وردت نصوص عديدة في بيان فضله وعظمته منها:

ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه [٢].

وعن أمير المؤمنين (ع) أنّه قال: القرآن أفضل كل شئ دون الله، فمن وقر القرآن فقد وقر الله، ومن لم يوقر القرآن فقد استخف بحرمة الله وحرمة القرآن على الله كحرمة الوالد على ولده.

ونحو ذلك من الروايات الدالّة على حرمة القرآن الكريم [٣].

المطلب الثاني: فضل قراءة القرآن.

القرآن الكريم هو الدستور الإلهي الذي تكفّل بإصلاح دين الناس ودنياهم، وهدايتهم إلى حيث السعادة الأبدية في الآخرة فضلاً عن الأوّلى، فحري بكلِّ مُسلم تعاهُد تلاوته والتدبّر في آياته آناء الليل وأطرف النهار، وقد وردت نصوص كثيرة في فضل قراءته نذكر بعضاً منها:

عن معاوية بن عمار قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): من قرأ القرآن فهو غنى لا فقر بعده وإلا ما به غنى [٤].

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ص): من

قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ومن قرأ ثلاث مائة آية كتب من الفائزين ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من تبر[٥].

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية[٦].

المطلب الثالث: التدبّر في القرآن.

للتدبّر في الآيات المباركة أهمية كبيرة لا ينبغي الغفلة عنها لِما في التدبر من التفكر في مقاصد الخطابات القرآنية علماً وعملاً إعتقاداً وسلوكاً، وقد ورد الحث الشديد من الكتاب العزيز على التدبر في معاني الآيات الكريمة ومعرفة أهدافها قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾[٧]، وقال عزوجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾[٨].

ولهذا التدبّر أثار جليلة وإنطباعات عظيمة، فالمُتدبّر في الآيات المُباركة يستلهم العِظة والعبرة والبصيرة ومعرفة الطريق الحق الذي يوّصلهُ إلى الله تعالى، فالتدبّر أعظم من التلاوة إذ أنّه ميزة الأولياء والصالحين المرتبطين بالله عزوجل.

المطلب الرابع: معنى الإعجاز على المستوى اللغوي.

يطلق الإعجاز في اللغة ويُراد به إثبات العجز، وهو القصور عن فعل الشيء، فعندما يقال: أعجز فلاناً عن الأمر، إذا حاول تحقيقه فلم يحققه، والإعجاز ضد القدرة، وهو على ما ذكره الفيروز آبادي: اعلم أَن الإِعجاز إِفعال من العَجْز الذي هو زوال القدرة عن الإِتيان بالشيء من عمل أو رأْي أو

تدبير[٩].

وقال أبن فارس: (عجز) العين والجيم والزاء أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف والآخر على مؤخر الشيء فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزا فهو عاجز أي ضعيف وقولهم إن العجز نقيض الحزم فمن هذا لأنه يضعف رأيه ويقولون المرء يعجز لا محالة ويقال أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه[١٠].

وقال أبن منظور:

عجز: العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزًا فيهما، ورجل عجز وعجز[١١].

وقال الراغب الأصفهاني:

عجز: عجز الإنسان مؤخره وبه شبه مؤخر غيره، قال سبحانه: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠)﴾[١٢]، والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره كما ذكر في الدبر، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ﴾[١٣]، وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته جعلته عاجزاً، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾[١٤]، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾[١٥]، ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾[١٦][١٧].

وعليه يظهر من جميع ما تقدّم أنَّ المعاني اللغوية للإعجاز تدور في معانٍ عِدة منها:

١-عدم القدرة ٢-الضعف ٣-الإنقطاع. ٤- مؤخر الشيء

المطلب الخامس: معنى الإعجاز على المستوى الإصطلاحي.

المُراد من المعجزة في -المصطلح- هو كل أمر خارق لنواميس الطبيعة إذا ما قُرن بالتحدّي. ويظهر الله تعالى المعجزة على يد الأنبياء والرُسل (عليهم السلام)، ليكون دليلاً على صدق رسالتهم وإثبات دعوتهم.

وقد عُرِّفت المعجزة بتعريفات عديدة ومتنوعة سنحاول الوقوف على بعضِ تلك التعريفات وهي كالتالي:

قال الشيخ نصير الدين الطوسي عند تعرّضه لذكر الطريق إلى صدق النبي: وطريق معرفة صدقه ظهور المعجز على يده وهو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوى[١٨].

وقال أبن خلدون: وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم[١٩].

وقال السيوطي: إعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية وإما عقلية[٢٠].

وقال القرطبي: وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة. والشروط هي:

الشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه.

الشرط الثاني: هو أن تخرق العادة.

الشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له،

الشرط الخامس: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة[٢١].

وقال العلّامة الطبأطبائي: المعجزة بمعنى الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطل لضرورة العقل[٢٢].

وقال المحقق السيد الخوئي: أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهدًا على صدق دعواه[٢٣].

وقال السيد محمد باقر الحكيم:

المعجزة، وهي: أن يحدث تغييرًا في الكون -صغيراً أو كبيراً- يتحدى به القوانين الطبيعية التي ثبتت عن طريق الحس والتجربة [٢٤].

المطلب السادس: أهمية البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

لّما كان القرآن هو المعجزة الخالدة للدين الإسلامي الحنيف و الذي أتى به النبي الأعظم (ص) ليكون دليلاً قاطعاً على صدق دعوته وإثبات نبوته على مر العصور والدهور لا لحقبة زمنية دون أخرى كان من المناسب جداً البحث عن جهات الإعجاز التي حواها الكتاب العزيز، وأنّه هل كان إعجازه في خصوص بلاغته وفصاحته ونُظّمه غير المسبوق أم كان إعجازه متعدّياً ذلك ليشمل كل ما من شأنه أن يعجز عنه الأنس والجن؟، فيكون متحدّياً للجميع؛ لأنّه من الواضح جداً أنَّ الرسالة المحمّدية ليست لقوم دون أخرين، ولا لفئةٍ دون أخرى، وذلك مُقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾ [٢٥].

ونحن في هذه الرسالة المختصرة جداً نود الوقوف على جهةٍ من جهات الإعجاز للقرآن الكريم ألا وهي جهة الإعجاز العلمي.

الفصل الأول: حقيقة الكتاب المبين.

المبحث الأول: المراتب الوجودية للقرآن الكريم.

المرتبة الأولى: مرتبة الوجود العرشي.

كل شيء في هذا الوجود له وجود عرشي قبل أن ينزل إلى عالم المادة ولعل أوضح نص قرآني يدل على هذا الوجود هو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١)﴾ [٢٦].

إذن ما من شيء إلاّ وله وجود في تلك الخزائن، وهذا يمكن إستفادته من ظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾. حيث يفيد العموم بسبب

وقوعه في سياق النفي هذا بحسب ما حُرّر في محله في علم الأصول.

يقول العلامة الطبأطبائي: والمراد بخزائنه مجموع ما في الكون من أصوله وعناصره وأسبابه العامة المادية ومجموع الشيء موجود في مجموع خزائنه لا في كل واحد منها [٢٧].

كما أنَّ هذه الخزائن متعددة وليست واحدة لقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾. حيث ذكرت الخزائن بصيغة الجمع وأقل الجمع ثلاثة كما هو معلوم في علم النحو.

أمّا عدد تلك الخزائن التي تحوي جميع هذه الأشياء أمر لا يمكن للعقل البشري إدراكه، وحينئذٍ يُحتاج في تحديده إلى دليلٍ قطعي أو ظني قام القطع على حجيته من آية أو رواية.

ومن المُلاحظ عند التأمّل في هذه الآية المباركة أنَّ تلك الخزائن المذكورة ليست من عالم المادة هذا. بل هي من عالم أخر فوق عالمنا لقوله عزوجل: ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾. بقرينة إضافة الخزائن إلى الله تعالى لقوله سبحانه: ﴿عِنْدَنَا﴾. وعند الرجوع لبعض النصوص القرآنية نراه أنّه يُميز بين ما عند الله تعالى وبين ما عند غيره من خلقه فيعطي للأشياء الداخلة في دائرة ما عند الله غير الحكم الذي يعطيه للأشياء الداخلة في دائرة غيره تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ [٢٨].

ويظهر من هنا أنَّ هذه الخزائن أمور ثابتة لا تزول ولا تتغير بلحاظ كونها عند الله تعالى وما عند الله باق. إذن هي ليست من عالمنا المحسوس لأنَّ الأشياء في عالم المادة لا تتسم بالثبات والبقاء بل هي زائلة ومتغيرة.

ومن الآيات الدالّة على هذا الوجود أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)﴾ [٢٩]، فإنَّ هذا النص القرآني يدل على

أنَّ الكتاب العزيز كان عند الله أحكم وأعلى من أن تناله العقول وتُدركه الأفهام.

يقول العلامة الطبأطبائي: و (قرآناً عربياً) أي مقروء باللغة العربية و (لعلكم تعقلون) غاية الجعل وغرضه. وجعل رجاء تعقله غاية للجعل المذكور يشهد بأن له مرحلة من الكينونة والوجود لا ينالها عقول الناس، ومن شأن العقل أن ينال كل أمر فكري وإن بلغ من اللطافة والدقة ما بلغ فمفاد الآية أن الكتاب بحسب موطنه الذي له في نفسه أمر وراء الفكر أجنبي عن العقول البشرية وإنما جعله الله قرآنًا عربيًا وألبسه هذا اللباس رجاء أن يستأنس به عقول الناس فيعقلوه، والرجاء في كلامه تعالى قائم بالمقام أو المخاطب دون المتكلم كما تقدم غير مرة [٣٠].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [٣١].

إذن قبل أن ينزل القرآن إلى هذا العالم كان في كتاب مخبأ لا يمسه إلاّ المطهرون.

المرتبة الثانية: مرتبة الوجود الملكوتي.

القرآن العظيم قبل أن ينزل وحيه كان موجوداً وموّدعاً في قلب النبي الأعظم (ص)، وهذا يمكن إستفادته من قوله عزوجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ [٣٢].

نعم غاية الأمر أنَّ الله تعالى نهى النبي (ص) من أن يعْجل ببيانه إلى الناس من قبل أن يأتي الوحي يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [٣٣].

المرتبة الثالثة: مرتبة الوجود المادي.

نزل القرآن الكريم على شكل حروفٍ وألفاظ بعد ما كان معاني مُحكمة فقط، حيث أصبح القرآن

حروفًا وألفاظًا وآياتٍ وسورًا وهذا هو الوجود المادي للكتاب العزيز الذي يُتلى قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾[٣٤].

المبحث الثاني: مفهوم الكتاب المبين.

ما هو المُراد من لفظ الكتاب المبين الوارد في جملة من الآيات المُباركات؟.

وفي مقام الإجابة عن ذلك نقول: أنَّ المتتبّع لاستعمالات لفظ الكتاب المبين في الآيات الكريمة يُلاحظ أنَّ المراد منه هو القرآن الكريم، ويمكن إستفادة ذلك من نصوصٍ كثيرة؛ منها على سبيلِ المثال لا الحصر: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾[٣٥]. ﴿حم(١)وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٣)﴾[٣٦]. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾[٣٧]. ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾[٣٨]. ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ(١)﴾[٣٩]. ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (٣)﴾[٤٠]. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[٤١]. ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١)﴾[٤٢].

ونحو ذلك من الآيات المُباركة، فالذي يظهر ممّا تقدّم أنَّ المقصود من الكتاب المبين هو هذا القرآن، وقد صرّح غير واحدٍ من المفسرين عند تعرّضهم لهذه الآيات ومثيلاتها بهذا المعنى أيضاً، والمقام لا يسمح بسرد كلماتهم المؤدية لذلك.

لكنه يمكن أن يُقال: أنَّ لفظ الكتاب المبين المقصود منه هو القرآن بحسب وجوده العرشي أي كونه في اللوح في المحفوظ أو الكتاب المكنون.

ويبدو عدم وجود ثمّة تعارض حقيقي جوهري، فلئن كان اللوح المحفوظ حاوياً لعلم ما كان وما سيكون فإنَّ القرآن فيه تبيان لكل شيء كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ

تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٤٣].

المبحث الثالث: خصوصيات الكتاب المبين.

وهذه الخصوصيات التي سنحاول الوقوف على جملةٍ منها خاصة بالقرآن الكريم بحسب وجوده العرشي لا وجوده المادّي.

الخصوصية الأولى: ثابت لا يتغيّر.

إنَّ من خصائص هذا الكتاب هو عدم تغيّره وتبدّله كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾[٤٤]. وفي قوله سبحانه: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨)﴾[٤٥]. ونحوهما من التعابير القرآنية التي يُفهم منها أنَّ هذا الكتاب لا ينالهُ التغيّر إطلاقاً.

يقول السيد الطبأطبائي: فالآيات -كما ترى- تدل على أن هذا الكتاب في عين أنه يشتمل على جميع مشخصات الحوادث وخصوصيات الاشخاص المتغيرة المتبدلة لا يتبدل هو في نفسه ولا يتسرب إليه أي تغير وفساد [٤٦].

وقال في موردٍ أخر: أي حافظ لكل شيء ولآثاره وأحواله، أو كتاب ضابط للحوادث محفوظ عن التغيير والتحريف، وهو اللوح المحفوظ الذي فيه كل ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة [٤٧].

الخصوصية الثانية: لا يناله شيء من الخطأ والنسيان، وهذا ما يمْكن إستفادته عبر قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)﴾ [٤٨]. وقوله عزوجل: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢)﴾[٤٩]، فلا مجال فيه للشك ولا ريب فيه للنسيان أو الضلال أو الخطأ.

يقول العلامة الطباطبائي: وكأنه حال من العلم ليؤكد به أنه مثبت محفوظ من غير أن يتغير عن حاله وقد نكر الكتاب ليدل به على فخامة أمره من جهة سعة إحاطته ودقتها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها[٥٠]. وعليه فإنَّ الآيات المُباركة قاضية بإستحالة عروض الخطأ والنسيان والضلال عليه.

الخصوصية الثالثة: فيه كل شيء.

وهذه الخصوصية تكاد تكون أهم خصوصية لِما لها من دخالة فيما يتمحور عليه بحثنا، ولا يمكن معرفة هذه الخصوصية إلاّ بالرجوع إلى نفس القرآن الكريم.

والآيات الدالّة على ثبوت هذه الخصوصية كثيرة أخترنا منها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٥١]. وقد وقع الخلاف بين المفسرين في تحديد ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الوارد في الآية المباركة، وهذا ما سنتعرّض له في الفصل اللاحق.

الفصل الثاني: النظريات المطروحة في احتواء القرآن على كل شيء:

النظرية الأولى: وهي النظرية المشهورة والمعروفة بين مفسري الشيعة والسنة بيانها: أنَّ القرآن الكريم لّما كان كتاب هداية لعامة الناس بدلالة قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[٥٢].

وتقريب الأستدلال: إنَّ الظاهر من معنى ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي كل شيء يرتبط بأمرِ الهداية ممّا يحتاج إليه الناس في اهتدائهم بوساطة المعارف الإلهية الحقيقية المتعلّقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الربانية والقصص والمواعظ، فيكون القرآن الكريم تبياناً لذلك كلّهِ، وبالنتيجة ليس من شأن الكتاب العزيز التعرّض

إلى الحقائق والدقائق العلمية لكونها خارجة عن غرضه سيما بعد العلم أنّه كتاب هداية لا كتاب علمي يتناول المسائل الرياضية أو الفلكية أو الفيزيائية أو نحو ذلك.

قال الآلوسي في تفسيره: والمراد من (كل شيء) على ما ذهب إليه جمع ما يتعلق بأمور الدين أي بياناً بليغًا لكل شيء يتعلق بذلك ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائهم عليهم السلام [٥٣].

وقال أبن عاشور التونسي: و(كل شيء) يفيد العموم إلاّ أنّه عموم عرفي في دائرة ما لمثله تجيء الأديان والشرائع: من إصلاح النفوس وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبيّن الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الإستدلال على الوحدانية وصدق الرسول صلّى الله عليه (وآله) وسلم، وما يأتي عبر ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم وأسباب فلاحها وخُسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التأريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم [٥٤].

وقال الشيخ الطبرسي: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: بيانا لكل أمر مشكل، ومعناه: ليبين كل شيء يحتاج إليه من أمور الشرع، فإنه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أمور دينهم، إلا وهو مبين في الكتاب، إما بالتنصيص عليه، أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة، فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن [٥٥].

وقال الشيخ الطوسي: ومعنى العموم في قوله ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ المراد به من أمور الدين: إما بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحجج القائمين مقامه، أو إجماع الأمة أو الاستدلال، لأن هذه الوجوه

أصول الدين وطريق موصلة إلى معرفته [٥٦].

وقال العلامة الطباطبائي: وإذ كان كتاب هداية لعامة الناس وذلك شأنه كان الظاهر أن المراد بكل شئ كل ما يرجع إلى أمر الهداية مما يحتاج إليه الناس في اهتدائهم من المعارف الحقيقية المتعلقة بالمبدأ والمعاد والأخلاق الفاضلة والشرائع الإلهية والقصص والمواعظ فهو تبيان لذلك كله [٥٧].

وقال في موضعٍ أخر: وهو بيان لكل شيء من أمر الهداية يُعلم به الحق من الباطل [٥٨].

هذه هي بعض كلمات المفسرين المتبنّية للنظرية الأولى.

عرض الملاحظات على النظرية الأولى:

بعد بيان النظرية الأولى ونقل كلمات بعض المفسرين في توضيح ما هو المُراد من لفظِ ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ الوارد في الآية المُباركة تُسجّل عِدة ملاحظات على هذه النظرية نذكر جملةً منها:

المُلاحظة الأولى: أصحاب هذه النظرية استدلوا على عدم احتواء الكتاب العزيز لشتى أنواع العلوم من جهةِ كونه كتاب هداية وإرشاد للناس، لذا فالعلوم الطبيعية والحقائق الكونية والدقائق العلمية خارجة عن غرضه وأجنبية عن أهدافه. نعم هو بيان لكل شيء فيما يرتبط بأمر الهداية وحسب.

وللجواب على ذلك نقول: إنَّ ممّا لا خلاف ولا نزاع فيه كون القرآن الكريم كتاب هداية، ولكن حصر تحقق الهداية بالأوامر والإرشادات الروحية، والتربوية، والسلوكية، والاجتماعية لا دليل عليه بل الدليل قائم على خلافه خصوصاً بعد العلم أنَّ طُرق وروافد الهداية مُختلفة ومتنوعة: فتارة يقودنا إلى الهداية عبر وصاياه الروحية وتعاليمه التربوية، وتارة يقودنا إلى الهداية بوساطة الحقائق الكونية والدقائق العلمية وهذا ما أشار إليه قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)﴾ [٥٩].

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل في صدر هذه الآية: «آيات الآفاق» تشمل خلق الشمس والقمر والنجوم والنظام الدقيق الذي يحكمها، وخلق أنواع الأحياء والنباتات والجبال والبحار وما فيها من عجائب وأسرار لا تعد ولا تحصى، وما في عالم الأحياء من عجائب لا تنتهي، إن كل هذه الآيات هي دليل على التوحيد وعلى وجود الله.

أما «الآيات الأنفسية» مثل خلق أجهزة جسم الإنسان، والنظام المحير الذي يتحكم بالمخ وحركات القلب المنتظمة والشرايين والعظام والخلايا، وانعقاد النطفة ونمو الجنين في ظلمات الرحم. ثم أسرار الروح العجيبة. إن كل ذلك هي كتاب مفتوح لمعرفة الإله الخالق العظيم.

صحيح أن هذه الآيات قد طرقت سابقًا بمقدار كاف من قبل الله تعالى، إلا أن هذه العملية والإراءة مستمرة، لأن (سنريهم) فعل مضارع يدل على الاستمرار، وإذا عاش الإنسان مئات الآلاف من السنين، فسوف تنكشف له في كل زمان علامات وآيات إلهية جديدة، لأن أسرار العالم لا تنتهي.

إن كافة كتب وبحوث العلوم الطبيعية وما يتصل بمعرفة الإنسان في أبعاده المختلفة (التشريح، فسلجة الأعضاء، علم النفس، والتحليل النفسي) وكذلك العلوم التي تختص بمعرفة النباتات والحيوانات والهيئة والطبيعة وغير ذلك، تعد في الواقع كتباً وبحوثاً في التوحيد ومعرفة الخالق (جل وعلا) لأنها عادة ما ترفع الحجب عن الأسرار العجيبة لتبين قدراً من حكمة الخالق العظيم، وقدرته الأزلية،

وعلمه الذي أحاط بكل شيء.

أحيانا يستحوذ علم واحد من هذه العلوم، بل فرع من فروعه المتعددة على اهتمام عالم من العلماء فيصرف عمره في سبيله، وفي النهاية يقرر قائلاً: مع الأسف لا زلت لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع، وما علمته لحد الآن تجعلني أغوص أكثر في أعماق جهلي[٦٠].

إذن أتّضح ممّا تقدّم أنَّ طُرق الهداية وروافدها عبارة عن دلالة مجموعة من الآيات دلالة ترابطية أو اشتراكية بين مخاطبة العقل والقلب وهذا ما يتجسّد في التعاليم الروحية والتربوية ونحوها، وبين مخاطبة العقل على نحو الإستقلال وهذا ما نجده في ذكر الحقائق الكونية والعلمية.

نعم هذه الحقائق بعضها ذكرها القرآن الكريم على نحو الإشارة في ظواهر الآيات المُباركات أو صريحها، وبعضها ما هو مكنون في الكتاب المبين والذي يُعد الوجود الملكوتي للمصحف الشريف الذي بين أيدينا.

الملاحظة الثانية:

لو فرضنا تمامية النظرية الأولى وصحتها في كون الكتاب العزيز مشتملاً على خصوص المعارف المرتبطة بجانب الهداية من تعاليم روحية وأخلاقية وسلوكية وتربوية واجتماعية ونحو ذلك. فكيف يمكن تخريج الآيات القرآنية الدالّة على الحقائق الكونية والعلمية إذ ما وجه الحمل على ذلك؟.

إن قلتَ: إنَّ ذكر تلك الحقائق مبنيٌ على مورد الحاجة لغرض تحقق الهداية الربانية التي لأجلها أنزل الله تعالى القرآن الكريم.

قلتُ: إذن يتّضح صحة ما ذكرناه أنفاً من أنَّ الهداية غير منحصرة بالأوامر الروحية والتعاليم التربوية حيث يكفي في نفي السالبة الكُلّية موجبة جزئية.

الملاحظة الثالثة:

وهذه الملاحظة يتوقف بيانها على مقدمة لابدَّ منها وهي: إنَّ الرسالة المحمدية رسالة عالمية حيث أنّها ليست لخصوص العرب بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) ﴾[٦١]. بناءً على أنَّ المراد من لفظِ (كافة) الجمع أي بمعنى أرسلناك لجميع الناس على أختلاف الوانهم والسنتهم ونحو ذلك من الأمور العارضة عليهم. وإن كان بعض المفسرين قد أحتمل معنى أخر للآية الكريمة وهو: أنَّ لفظ ((كافّة)) صفة للنبي الأعظم (ص) ويكون المقصود أنَّ الله تعالى أرسل رسوله ليكون كافًا ورادعاً ومانعاً للناس عن الكفر والمعصية والذنوب.

نعم وردت جملة من النصوص الروائية تؤيد المعنى الأول منها: ما ورد عن الإمام الصادق (ع) في خبر عبد الله بن بكير الدجاني قال: قال لي الصادق (ع): أخبرني عن رسول الله (ص) كان عامًا للناس بشيراً أليس قد قال الله في محكم كتابه: وما أرسلناك إلا كافة للناس، لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض من الجن والإنس[٦٢].

ومنها: عن أبي جعفر الباقر (ع) حديث طويل وفيه: وإن الأنبياء بعثوا خاصة وعامة. فأما نوح: فإنه أُرسل إلى من في الأرض بنبوة عامة ورسالة عامة. وأما هود: فإنه أُرسل إلى عاد بنبوة خاصة..... إلى أن يقول ثم أرسل الله محمداً (ص) إلى الجن والإنس عامة وكان خاتم الأنبياء[٦٣].

ومنها: الحديث المروي عن ابن عباس، عن النبي (ص): أعطيت خمساً ولا أقول فخراً: بعثت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأحل لي المغنم، ولم يحل لأحد قبلي، ونصرت بالرعب فهو يسير أمامي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة

فادخرتها لأمتي يوم القيامة [٦٤].

وعليه يكون مفهوم الآية الكريمة عالمية دعوة النبي الأكرم (ص)، ويكون معناها شبيه بما ورد في سورة الفرقان حيث قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)﴾[٦٥]. وعبارة (العالمين) كاشفة بوضوح على أنَّ الشريعة الإسلامية الغرّاء لا تختص بمنطقة دون أخرى، أو بقومٍ دون آخرين. بل إنَّ بعضهم استدل منها على خاتمية النبي (ص) وذلك لأنَّ (العالمين) كما أنّها غير محدودة من حيث المكان فهي كذلك من حيث الزمان أيضاً.

يقول الشيخ محمد جواد مغنية: تكرر هذا المعنى في القرآن الكريم بأساليب شتى، من ذلك: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[٦٦] ..... ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾[٦٧].

والسرّ في أنَّ الإسلام بعقيدته وشريعته يسع الإنسانية في كل زمان ومكان لأنّه يرفع من شأن الإنسان وكرامته وحريته، ويعتمد في أصوله ومبادئه وأحكامه العقل والعدل، وكل منهما يأبى بطبعه التخصيص والتقييد بالأزمنة والأمكنة أو بأي شيء [٦٨].

وبعد بيان هذه المقدمة نقول: أنّه عادة ما يُذكر أنَّ وجه التحدّي والإعجاز الموجود في القرآن الكريم هو المستوى العالي من الفصاحة والبلاغة والأسلوب البياني العجيب في نظمه ومضمونه وهذا ممّا لا نزاع فيه إذ إنَّ الفصاحة والبلاغة وجهان من وجوه الإعجاز بلا كلام. لكن ليس هو تمام الإعجاز بنحو الانحصار لإنَّ البناء على هذا يُلاحظ عليه:

أولاً: أنّه بالتوجه إلى مقام الرسالة المحمدية العظيمة والقرآن المجيد يُعلم أنَّ التحدّي والتعجيز من حيثية الفصاحة لأمثال أمرئ القيس تحقيرُ

لمقام الرسالة والقرآن الكريم فإنَّ أمرئ القيس وأمثاله أنزلُ قدراً من أن يريد الله تعجيزهم وتحدّيهم بالقرآن العظيم، وما هو شأن هولاء وما قيمة قدره في قبال المنزلة الرفيعة والمكانة العظيمة والشأن العالي للنبي الخاتم (ص) الذي يُعد أعظم مصْلحٍ في المجتمع البشري.

ثانياً: إنَّ الإعجاز لا يتم إلاّ بتعجيز الكل في جميع الشؤون. فلو أنّه لم يعْجز الكل فحينئذ لا يكون إعجازاً على الإطلاق بل يكون إعجازه لقومٍ دون أخرين في شأن خاص، فكيف يكون التعجيز حجّة على بقية الأمم ممّن لسانهم ليس عربياً؟.

وهذا يقتضي أن يكون إعجاز القرآن لخصوص العرب دون غيرهم وهذا بطبيعة الحال ينافي عالمية دعوة النبي الأكرم (ص)، والعالمية والشمولية للشريعة الغرّاء قاضية بأن يكون القرآن معْجزاً لجميع البشر على اختلافهم في جميع المستويات.

ثالثاً: لو كانت الفصاحة والبلاغة هو الوجه الوحيد لتحدّي القرآن الكريم فلازمه أن يكون كلام الله تبارك وتعالى من سنخ كلامهم وفصاحته تعالى من سنخ فصاحتهم والحال أنَّ هذا اللازم باطل قطعاً ضرورة إستحالة المسانخة بين الحق تعالى وبين سائر مخلوقاته إذ إنَّ الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٦٩).

النظرية الثانية: بعد بيان النظرية الأولى وعرض بعض الملاحظات التي يمكن أن تُسجّل عليها. نشرع إنْ شاء الله تعالى في بيان النظرية الثانية، وعرض جملة من الأدلّة القرآنية والروائية التي يمكن استفادتها من ظاهر بعض النصوص الشريفة أو صريحها مع ملاحظة إمكان دعوى أن تكون هذه الملاحظات المذكورة نفسها أدلّة على حقانية النظرية الثانية، ولكن تثبيتاً للحُجّة سوف نستعرض بعض تلك الأدلّة.

وحاصل الكلام في النظرية الثانية: أنَّ الكتاب العزيز مشتملاً على جميع المعارف بنحوٍ عام لا خصوص المعارف والعلوم المرتبطة بجانب الهداية والإرشاد.

ويجدر بنا هنا التعرّض إلى جملة من الأدلّة التي يمكن إقامتها لإثبات اشتمال الكتاب العزيز على كل شيء وهي على نحوين:

النحو الأول: الأدلّة القرآنية:

الدليل الأول: ولعله من أهم الأدلّة في المقام وهو قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٧٠].

وتقريب الاستدلال بالآية: على كون القرآن بياناً لكل شيء بملاحظة سعة مفهوم (كل شيء). وأمّا قرينية الهداية لتقييد أو تخصيص معنى كل شيء عن إطلاقها أو عمومها فغير نافعة لوضوح تنوع طُرق وروافد الهداية، وقد فصّلنا الكلام عن ذلك عند ذكرنا للملاحظة الأولى على النظرية الأولى، فلا حاجة للتكرار. ولا بأس بنقل كلمات بعض المفسرين من الفريقين في تفسيرهم لهذه الآية المباركة:

قال الآلوسي: وذهب بعضهم إلى ما يقتضيه ظاهر الآية غير قائل بالتخصيص ولا بأن (كل) للتكثير فقال: ما من شيء من أمر الدين والدنيا إلا يمكن استخراجه من القرآن وقد بين فيه كل شيء بياناً بليغاً.

وقال في موضع أخر من نفس الصفحة: وقد نقل الجلال السيوطي عن المرسي أنه قال: جمع القرآن علوم الأولين والآخرين [٧١].

وقال ابن كثير في تفسيره: قال ابن مسعود: قد بيّن لنا في هذا القرآن كل علمٍ وكل شيء. وقال مُجاهد: كل حلالٍ وكل حرام. وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإنَّ القرآن اشتمل على كل علمٍ نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي، وكل حلالٍ وحرام، وما للناس

إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم[٧٢].

ويقول السيّد محمد الشيرازي: والمراد ب ((كل شيء)) الأمور العامة التي يحتاج إليها الإنسان في أمر دينه ودنياه، فقد اشتمل القرآن الحكيم على الخطوط العامة للمبدأ والمعاد والنظام العام للدنيا السعيدة[٧٣].

ويقول الشيخ مُحسن قرآءتي: القرآن الكريم بيان وتبيان لكل شيء ولكن ليس بإمكان كل أحد فهم ما فيه وإدراكه، وهو ما أشار إليه الإمام علي (ع) بقوله: كتاب الله عزوجل على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء.

يكون تبيان كل شيء إمّا بشكلٍ مباشر أو بوساطة الآيات التي تتضمّن المبادئ والأصول[٧٤].

تنبيه:

قد مرَّ بنا في الأبحاث السابقة أنَّ للقرآن وجودات متعددة وأنَّ المُصحف الشريف الذي بين أيدينا قد ألبسه الله تعالى لباس العربية ليكون حاكياً عن القرآن الكريم في وجوداته الأخرى عناية بعباده ورحمة بهم، وعليه فإن القرآن إن لم يكن تبياناً لكل بوجوده المادي، فهو تبيان لكل شيء بوجوده العرشي.

إذن القرآن وهو في الكتاب المكنون فيه بيان بليغ لكل شيء قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)﴾[٧٥].

صحيح أنَّ هذا القرآن بوجوده المادي وبالألفاظ التي نُرتلها ليس تبياناً لكل شيء تفصيلاً على نحو ذكر دقائق الجزئيات لكنّه بوجوده العرشي تبياناً لكل شيء بالنحو المذكور.

نعم لم يطّلع على القرآن بوجوده العرشي الشامل لدقائق الأمور إلاّ

المطهرون قال عزوجل: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾[٧٦].

إذن القرآن شفرات ورموز ولكن لا يحيط بهذه الشفرات والرموز التي ترمز لكل شيء إلاّ المطهرون قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[٧٧].

وقال عزوجل في آية أخرى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٧٨].

وقال سبحانه في آية ثالثة: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧٩].

إذن هناك صفوة مُنتخبة أطْلعت على كل شيء في هذا القرآن لأنّها اطْلعت على الوجود العرشي للكتاب العزيز. ومن هنا يظهر أنَّ للقرآن دورين:

الدور الأول: دور القرآن بالنسبة للنبي الأعظم(ص)، وهو كونه بياناً وتبياناً لكل شيء.

الدور الثاني: دور القرآن بالنسبة إلى الأمّة في كونه هدى ورحمة وبشرى للمسلمين.

نعم هذا لا ينافي اشتمال المصحف الشريف الذي هو الوجود المادي للقرآن على علومٍ أخرى، فإنَّ هناك بعض الآيات القرآنية قد أشارت إلى حقائق كونية ودقائق علمية.

وسنعرض جملة من الشواهد الدالّة على ذلك في المبحث الثاني ان شاء الله تعالى.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٨٠].

وتقريب الاستدلال: يتّضح عند التدبّر في مفاد الفاظ الآية المباركة إذ أنّها دلّت على بيان الغرض الذي لأجله بعث الله تعالى الرُسل وأنزل معهم الكتب بدلالة قوله (لِيَقُومَ)،

فإن اللام هنا لام تعليل كما لا يخفى، فيكون معنى الآية إنَّ من أهم أغراض وأهداف إرسال الرُسل وتنزيل الكتب هي: إقامة دولة عادلة توفر للإنسان العيش الكريم، وهذا لازمه ضرورة احتواء الكتب السماوية على كل أمر يؤدي تحقيق هذا الغرض من إقامة دولة عادلة متكاملة في جميع حيثياتها. ومن الوضوح بمكان إنَّ إقامة دولة بهذا الشكل من الكمال، وبسط القسط بين الناس يلزمه أن يكون القائد لهكذا دولة على اطّلاعٍ تام بكل حقل له مدخلية في بناء دولة توفر للفرد الإنساني جميع ما يحتاج إليه، وكما لا يخفى بأدنى تأملٍ أنَّ إقامة حكم. بهذه الصفات لا يكون بوساطة العلوم الشرعية وحسب. والواقع هو البرهان، فإنّه مثلاً: في عصرنا الحاضر نجاح الدولة وكمالها وتوفيرها العيش الكريم للإنسان غير مقتصر على منظومة المعارف الإسلامية وحسب بل الدولة بأمس الحاجة إلى مثل علم الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والقانون والأقتصاد والاجتماع وعلم النفس ونحوها من العلوم التي يشكل كل واحدٍ منها عنصراً ضرورياً يحتاج إليه الإنسان في حياته العامة مع تفاوت لا يخفى في مقدار الحاجة، ومع ملاحظة جميع ما تقدّم يتّضح أنَّ علوم الشريعة واحدة من العلوم التي تؤدي وظيفة معينة للفرد. نعم بلحاظ الغرض الذي من أجله خُلق الإنسان تكون منظومة المعارف الإسلامية هي: أعظم العلوم وأشرفها بلا ريب.

لكن هذا لا يعني استغناء البشرية عن العلوم الأخرى، فإنَّ بلوغ الكمال في الدولة العادلة يتحقق بضميمة جميع العلوم فكيف بدولة المعصوم (ع) التي يلزم أن تكون في أعلى درجات الرقي والكمال، وهذا بطبيعة الحال يلزم منه احتواء الكتب السماوية لجميع العلوم والمعارف، ويتأكّد ذلك

في القرآن الكريم لوجهين:

الوجه الأول: لكون القرآن هو الكتاب المهيمن على جميع الكتب السماوية قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٨١).

الوجه الثاني: لكون الكتاب العزيز يمثّل منهج الشريعة الخالدة، والتي على أساسها تقوم دولة العدل الإلهي على يد مولانا الحُجّة بن الحسن (عج).

الدليل الثالث: قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾(٨٢).

وتقريب الاستدلال بالآية الكريمة يتوقف على بيان معنى الكتاب، وفي المقام احتمالان:

الأحتمال الأول: أنَّ المراد من معنى الكتاب الوارد في الآية معرفة ما في الكتب السماوية معرفة تفصيلية بحيث تمكّن العارف بها من القيام بهذا العمل الخارق لنواميس الطبيعة.

الأحتمال الثاني: أنَّ معنى الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي علّم الله تعالى بعضه ذلك الرجل ((أصف بن برخيا)) ولذلك أستطاع أن يأتي بعرش ملكة سبأ ((بلقيس)) بطرفة عين، ويحْضره عند سليمان (ع).

وعلى كلا التقديرَين يثبت المطلوب.

أمّا بناءً على الأحتمال الأول وهو كون المراد من علم الكتاب إطّلاع أصف بن برخيا عما في الكتب السماوية فإنَّ القرآن مهيمن على جميع الكتب السابقة بدلالة قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(٨٣). حيث أنَّ مادة هيْمن دالّة على السلطنة على الشيء لأجل القيام بشؤونه ويستلزم

ذلك المراقبة والأهتمام والشهادة، وهذه حال القرآن العظيم بالنسبة إلى الكتب الإلهية السابقة فإنّه متسلط عليها، ولا شك ولا شبهة أنَّ الهيمنة التي ذكرها الله تعالى في صفات القرآن هي هيمنة من جميع الجهات، وهذا يقتضي اشتمال القرآن على جميع معارف الكتب السابقة وزيادة.

بقي أمر لابد من الألتفات إليه حاصله: أنَّ العلم الذي حصل آصف بن برخيا على جزء منه لا علاقة له بالمنظومة العقائدية، أو الفقهية، أو الأخلاقية وذلك بلحاظ عدم الأنسجام والتناسب بين العلم بالمسائل العقائدية والأحكام الشرعية والتعاليم الأخلاقية والتربوية والاجتماعية وبين الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس إذ لابد أن يكون العلم الذي عنده يتناسب مع العمل الذي أتى به.

إذن علم من الكتاب أو علم الكتاب المقصود منه الإحاطة التامة والشاملة بإسرار الكون والطبيعة هذا في فرض تمامية الأحتمال الأول.

وأمّا بناءً على الأحتمال الثاني وهو: كون المراد من الكتاب اللوح المحفوظ يكون الأمر فيه أكثر وضوحاً وذلك بملاحظة أنَّ اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون أو الكتاب المبين هو كناية عن أحد وجودات القرآن ، كما بيّنا ذلك في الأبحاث السابقة، فما أطْلع عليه أصف بن برخيا إنّما هو جزء من العلم المكنون واستطاع عبر علمه بهذا الجزء الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين بلحاظ اطْلاعه على جزء من الأسرار الكونية، وهذا العلم يكون ثابتاً جميعه بالأولوية القطعية في القرآن الكريم، ومن هنا يظهر أنّه على

كلا الاحتمالَين يثبت المطلوب وهو: أنَّ القران جامع لشتى أنواع العلوم سواء علوم الدين أو العلوم الأخرى.

النحو الثاني: الدليل الروائي.

والروايات الدالّة على هذا المعنى كثيرة ومتعددة نذكر جملة منها:

الطائفة الأولى: القرآن بيان لكل شيء.

عن عبد الاعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: قد ولدني رسول الله (ص) وأنا أعلم كتاب الله وفيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة وخبر النار وخبر ما كان وخبر ما هو كائن أعلم ذلك كأنما أنظر إلى كفي، إنّ الله يقول فيه: تبيان كل شيء[٨٤].

ودلالة الحديث الشريف واضحة لوضوح الألفاظ التي تحكي اشتمال الكتاب العزيز على كل شيء لا المعارف الدينية وحسب.

وعن أبي الحسن الأول (عليه السلام) أنه قال: وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسيّر به الجبال وتقطّع به البلدان، وتحيى به الموتى. ثم قال: ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء[٨٥].

الطائفة الثانية: القرآن فيه حديث الماضي والمستقبل.

ورد عن أمير المؤمنين أنّه قال: ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه. ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم[٨٦].

الطائفة الثالثة: أنَّ الله تعالى أنزل في القرآن كل شيء تحتاج إليه الناس.

عن الإمام الباقر(ع) أنّه قال:

«إنّ اللهّ تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأُمّة إلاّ أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله(ص) وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلا يدل عليه، وجعل على مَنْ تعدى ذلك الحد حداً»[٨٧].

ونحوها من الروايات الشريفة التي دلّت بوضوح على احتواء القرآن العظيم لجميع المعارف والعلوم التي يحتاج إليها الإنسان، كما أنَّ هناك عشرات النصوص تحمل ذات المضمون لكنّا أعرضنا عنها رعاية للاختصار.

الفصل الثالث: شواهد الإعجاز العلمي في القرآن.

تمهيد: بعد بيان اشتمال الكتاب العزيز على جميع المعارف والعلوم بدلالة النصوص القرآنية والروائية نشرع إنّ شاء الله في بيان بعض شواهد الإعجاز العلمي، وقبل الخوض في المقصود لابد من بيان أمر ذا أهمية قصوى في المقام وهو: إنَّ اشارة القرآن الكريم لبعض الحقائق الكونية والعلمية يلزم أن يكون ضمن الموازين العلمية الرصينة بل ضمن شروط معينة لا كيفما أتفق كما يصنع بعض من كتب عن الإعجاز العلمي في القرآن إذ أخذ بعضهم يُفسّر الذكر الحكيم بأرائه الشخصية وهذا المنهج واضح البطلان لدلالة النصوص الشريفة على حرمة التفسير بالرأي.

وفيما يلي أهم تلك الشروط اللازم توافرها في إبراز حقيقة الإعجاز العلمي للكتاب العزيز:

شروط الإعجاز العلمي:

الشرط الأول: أن تكون دلالة الآيات القرآنية دلالة واضحة بيّنة بعيدة عن التكلّف.

الشرط الثاني: أن تكون الآية القرآنية

دالّة على حقيقة علمية لا على نظرية علمية، وذلك لأنَّ النظريات قابلة للتغيّر بخلاف الحقائق الثابتة، ثم أنّه اسقاط النظريات العلمية على القرآن الكريم يوْهن من عظمة وإعجاز الكتاب العزيز.

الشرط الثالث: أن لا تكون الحقائق العلمية معلومة قبل زمان النبي الأعظم (ص)، فلو كانت معلومة في زمانه (ص) لن يكون هناك سبق علمي للقرآن العظيم.

مبحث: شواهد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

يمكن تعريف الإعجاز العلمي في القرآن بإنّه: إخبار القرآن بحقائق علمية، الثابت عدم إمكان إدراكها في عصر النبي الأعظم (ص) بوساطة إبراز الإشارات القرآنية إلى الحقائق الكونية المتعلّقة بالآفاق والأنفس بحيث يكون العلم الحديث موافقاً لها.

كما أنَّ القرآن الكريم جاء متحدّياً للمجتمع البشري بأجمعه لا لفئة خاصة كما أشرنا إلى ذلك في الأبحاث السابقة، بل جاء متحدّياً للمجتمع العقلائي برمته من الإنس والجن قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[٨٨]، فهذا التحدّي الذي تحدّثت عنه الآية المباركة يكشف بوضوح عن أنَّ القرآن في جميع جهاته وانحائه أنّه معجزة، فهو معجزة للأديب البليغ الفصيح بلحاظ بلاغته وفصاحته، كما أنّ فيه من الإعجاز التشريعي ما يعجز عنه أكابر علماء القانون، وهكذا بالنسبة إلى علماء النفس والاجتماع، كذلك علماء الفلك، وعلماء الأحياء، وعلماء الفيزياء، فالنتيجة كل

متخصص يكتشف إعجاز القرآن في حقل تخصصه.

وفي المقام نذكر في الجملة بعض الشواهد القرآنية الدالّة على ذلك:

الشاهد الأول: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[٨٩].

هناك كتاب اسمه (التّوراة والانجيل والقرآن والعلم) المؤلف في هذا الكتاب يُقارن بين هذه الكتب الثلاثة بناءً على ما وصل إليه العلم الحديث، يذكر في الكتاب أنَّ العهدَين القديم والجديد نصّا على أنَّ أصل الوجود هو الماء. لكنه يقول: إنَّ هذا خطأ بل أصل الوجود بحسب ما توصّل إليه العلم الحديث هو النار- الدخان- وليس الماء، وهذا يعني أنَّ القرآن اكتشف أصل الوجود بخلاف كتاب العهدَين، فيقول ضمن حديثه أنَّ القرآن عبّر بالدخان ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الدخان هو: هالة غازية تتضمن مواد نارية صلبة، وهذا يتطابق مع الحقيقة العلمية منذ أن حدث الإنفجار العظيم وامتد بسرعة اسرع من الضوء[٩٠].

بالنتيجة أنَّ ما طرحه القرآن الكريم متطابق مع الحقائق العلمية المُكتشفة.

الشاهد الثاني: قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[٩١].

ذكر السيّد الخوئي في تفسيره بقوله: فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن كل ما ينبت في الأرض له وزن خاص، وقد ثبت أخيرا أن كل نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك

مركبا آخر.

وإن نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقًا بأدق الموازين المعروفة للبشر (٩٢).

الشاهد الثالث: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾[٩٣]. وهي إشارة واضحة إلى حركة الأرض وعدم سكونها، فقد قال السيّد الخوئي عند تعرّضه لهذه الآية: تأمل كيف تشير الآية إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتضح إلا بعد قرون، وكيف تستعير للأرض لفظ المهد الذي يعمل للرضيع، يهتز بنعومة لينام فيه مستريحًا هادئًا؟ وكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعية والانتقالية، وكما أن تحرك المهد لغاية تربية الطفل واستراحته،فكذلك الأرض، فإن حركتها اليومية والسنوية لغاية تربية الانسان بل وجميع ما عليها من الحيوان والجماد والنبات.

تشير الآية المباركة إلى حركة الأرض إشارة جميلة، ولم تصرح بها لأنها نزلت في زمان أجمعت عقول البشر فيه على سكونها، حتى أنه كان يعد من الضروريات التي لا تقبل التشكيك[٩٤].

كما يمكن استفادة هذا المعنى من آيات أخرى غير التي ذكرها المحقق الخوئي (قدس سره) كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ نَّ العلم الذي حصل[٩٥].

الشاهد الرابع: كروية الأرض.

يقول السيّد الخوئي أيضاً: ومن الاسرار التي أشار إليها القرآن الكريم كروية الأرض فقال تعالى:

١- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾[٩٦].

٢- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾[٩٧].

٣- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[٩٨].

ففي هذه الآيات الكريمة دلالة على تعدد مطالع الشمس ومغاربها، وفيها إشارة إلى كروية الأرض، فإن طلوع الشمس على أي جزء من أجزاء الكرة الأرضية يلازم غروبها عن جزء آخر، فيكون تعدد المشارق والمغارب واضحاً لا تكلف فيه ولا تعسف.

وقد حمل القرطبي وغيره المشارق والمغارب على مطالع الشمس ومغاربها باختلاف أيام السنة، لكنه تكلف لا ينبغي أن يصار إليه، لان الشمس لم تكن لها مطالع معينة ليقع الحلف بها، بل تختلف تلك باختلاف الأراضي. فلا بد من أن يراد بها المشارق والمغارب التي تتجدد شيئًا فشيئًا باعتبار كروية الأرض وحركتها[٩٩].

الشاهد الخامس: توسع الكون.

حيث ثبت علمياً أنَّ الكون في حالة من التوسع والحركة وعدم السكون، والقرآن قد تحدّث عن ذلك قبل أن يكتشفها الإنسان بقرون قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[١٠٠].

الشاهد السادس: التقاء البحرَين العذب والمالح وعدم اختلاطهما.

قال عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[١٠١].

ما كان العرب يعرفون هذه الظاهرة، وذلك لأنّهم لم يغوصوا في

البحار والمحيطات، لكن بعد مئات السنين اكتشف المختصون بأحوال البحار أنَّ البحرَين العذب والمالح يلتقيان لكنهما لا يختلطان إذ بينهما حاجز من الفضاء الوهمي يكون مانعاً من اختلاطهما.

الشاهد السابع: قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١٠٢).

وقال عزوجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾(١٠٣).

فإنَّ مفهوم الرواسي هي: الجبال الثابتة، ومعنى أن تميد بكم أي لا تميل ولا تضطرب، أمّا معنى والجبال أوتاداً، وذلك لكونها أوتادُ للأرض أي ارسيناها بالجبال لكيلا تميل وكما هو معلوم إذ اكتشفوا في القرن العشرين بإنَّ الأرض تنصدع وتتحرك الواح قشرتها بشكلٍ دائم لكن هذه الحركة بطيئة بحيث لا يشعر بها أحد، فالجبل الذي يخرج من باطن الأرض إلى سطحها هو بمثابة الوتد الذي يثبّت قشرة الأرض عن جانبيه وقد ثبت علمياً أنَّ الجبل يمتد اربع مرات ونصف تقريباً داخل طبقات الأرض السُفلى.

الشاهد الثامن: جاذبية الأرض:

قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾(١٠٤).

يقول الشيخ جعفر السبحاني: الآية تثبت للسماوات أعمدة غير مرئية، فإذا كانت الجاذبية العامة عمدا تمسك السماوات -حسب ما اكتشفه نيوتن وهو من القوانين العلمية المسلمة عند العلماء الطبيعيين- فتكون الآية ناظرة إلى تلك القوة وإنما جاء القرآن بتعبير عام حتى يفهمه الإنسان في القرون الغابرة والحاضرة (١٠٥)، كما أنَّ

هناك شواهد كثيرة دالّة على الإعجاز والسبق العلمي للقرآن الكريم لكن نحن اقتصرنا على ما ذكرناه من الشواهد رعاية للاختصار.

بعد هذه الرحلة الموجزة مع كتاب الله عزوجل في بيان العظمة وعلو المقام للقرآن الكريم عبر تناول جهةٍ من جهات إعجازه ألا وهو الإعجاز العلمي نصل إنْ شاء الله تعالى إلى عرض أبرز ما ظهر من محطات هذه الرحلة من نتائج وتوصيات وهي:

أولاً: النتائج:

١- إنَّ للقرآن الكريم وجودات متعددة لا وجودًا واحدًا فقط، فهو ذا وجود عرشي، ووجود ملكوتي، ووجود مادي.

٢- إنَّ المُراد من لفظ الكتاب المبين هو نفسه القرآن الكريم بدلالة جملة من الآيات المُباركات وإن كان هذا الإطلاق بحسب وجوده العرشي لا المادي.

٣- الكتاب المبين له خصوصيات عِدة منها: ثابت لا يتغير، ولا يناله شيء من الخطأ و النسيان، وكونه مشتملاً على كل شيء.

٤- اتّضح وجود نظريتان في اشتمال القرآن العظيم على جميع المعارف والعلوم، فالأولى نافية، والثانية مُثْبتة.

٥- كون القرآن كتاب هداية لا ينافي اشتماله على الحقائق العلمية فروافد الهداية متنوعة منها ما يقود إلى الهداية بوساطة التعاليم الروحية، ومنها ما يكون بعرض الحقائق والدقائق العلمية.

٦- إنَّ عالمية الرسالة المحمدية تقتضي الشمولية في وجوه الإعجاز القرآني، فلا يُكتفى بإعجازه في فصاحته وبلاغته وجزالة بيانه وأسلوبه.

٧- القرآن الكريم تبيان وبيان بليغ لكل شيء من المعارف والعلوم بدلالة الآيات والروايات، إمّا بحسب وجوده العرشي والملكوتي بنحو التفصيل أو بحسب وجوده اللفظي بنحو الأشارات والشفرات والرموز.

٨- دلالة الآيات المباركات بنحو الصراحة أو الظهور على الأسرار الكونية والقضايا العلمية التي تم اكتشافها حديثاً والتي لم تكن معلومة بالسابق.

ثانياً: التوصيات:

١- إنَّ البحث في موضوع الإعجاز العلمي للكتاب العزيز ذا أهمية كبيرة ومدخلية محورية في إثبات حقانية الشريعة الإسلامية الغرّاء، وهذا يقتضي إعطاء هذا الموضوع أهمية بالغة في الدراسات والبحوث التي تعنى بالقرآن العظيم، وحث طلبة العلم وعموم الباحثين المهتمين بهذا الشأن في الكتابة فيه، والبحث في متعلقاته بحثاً تفصيلياً، فكل جهة من جهات الإعجاز العلمي للقرآن تستحق دراسة مستقلة.

٢- دراسة موضوع الإعجاز العلمي دراسة معمقة في عالم الأدلّة اللفظية ومعرفة مدى دلالتها على اشتمال القرآن الكريم على شتى أنواع العلوم، ثم الخوض بدراسة تتبعية استقصائية في تطبيق الآيات المباركات المُشيرة إلى القضايا العلمية ومقارنتها بما توصّل إليه العلم الحديث ضمن الشروط والضوابط العلمية.

٣- إدخال منهج خاص بموضوع الإعجاز العلمي في المدارس والجامعات لِما له من أهمية كبرى ذات دخالة في التأصيل للشريعة الإسلامية وهيمنتها على جميع الشرائع السابقة،

بذلك يتم ترسيخ الإعتزاز بالهوية القرآنية للفرد المسلم سيما بعد حصول حالة من الإنهزامية لدى كثير من الشباب المسلمين.

هذا ما أتاحته الفرصة لكتابة بحثٍ يتناول الإعجاز القرآني من جهة سبقه العلمي مع وجود قصور لا يخفى فأنّى للمحدود أن يحيط بكلام اللامحدود.

كما أرجو أن تلقى هذه الكلمات المتواضعة إستحسان القارئ الكريم، وأسأل الله تعالى العصمة من الزلل بحرمة النبي الأعظم وأهل بيته الأطهار (ع).

تم هذا بتوفيق الله تعالى ورعاية ولي نعمتي مولانا سلطان العصر والزمان (عج) في مساء يوم الأربعاء ٢/ شهر رمضان المبارك لعام ١٤٤٥ للهجرة النبوية المباركة على مهاجرها وآله آلاف التحية والسلام.

الموافق ١٣/ ٣/ ٢٠٢٤م

الهوامش:

١- سورة فاطر: ٢٨

٢- بحار الأنوار: ج ٨٩ / ص ١٩.

٣- يُنظر المصدر نفسه.

٤- وسائل الشيعة: ج ٦ / ص ١٧٨.

٥- الكافي: ج ٢ / ص ٦١٢.

٦- الكافي: ج ٢، ص ٦٠٩.

٧- سورة النساء: ٨٢

٨- سورة محمد: ٢٤

٩- بصائر ذوي التمييز: ج ١، ص ٦٥.

١٠- معجم مقاييس اللغة: ج ٤، ص ٢٣٢.

١١- لسان العرب: ج ٥، ص ٣٦٩.

١٢- سورة القمر: ٢٠

١٣- سورة المائدة: ٣١

١٤- سورة التوبة: ٢

١٥- سورة العنكبوت: ٢٢

١٦- سورة سبأ: ٥

١٧- مفردات غريب القرآن: ص ٣٢٢.

١٨- كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد: ص ٤٧٤.

١٩- مقدمة أبن خلدون: ص ٩٣.

٢٠- الإتقان في علوم القرآن: ج ٢ / ص ٣١١.

٢١- الجامع لأحكام القرآن: ج ١، ص ٦٩.

٢٢- الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ٧٢.

٢٣- البيان في تفسير القرآن: ص ٣٣.

٢٤- علوم القرآن: ص ١٢٣.

٢٥- سورة الأنبياء: ١٠٧

٢٦- سورة الحجر: ٢١

٢٧- الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ١٣٠.

٢٨- سورة النحل: ٩٦

٢٩- سورة الزخرف: ٣-٤

٣٠- المصدر نفسه: ج ١٨، ص ٧٦.

٣١- سورة الواقعة: ٧٧-٧٩

٣٢- سورة القيامة: ١٦-١٩

٣٣- سورة طه: ١١٤

٣٤- سورة الفرقان: ٣٢

٣٥- سورة يوسف: ١-٢

٣٦- سورة الزخرف: ٣-١

٣٧- سورة الشعراء: ٢

٣٨- سورة القصص: ٢

٣٩- سورة النمل: ١

٤٠- سورة الدخان: ١-٣

٤١- سورة المائدة: ١٥

٤٢- سورة الحجر: ١

٤٣- سورة النحل: ٨٩

٤٤- سورة البروج: ٢٢

٤٥- سورة الواقعة: ٧٨

٤٦- الميزان في تفسير القرآن: ج٧، ص ١٢٧.

٤٧- المصدر نفسه: ج١٨، ص ٣٣٩.

٤٨- سورة يونس: ٦١

٤٩- سورة طه: ٥٢

٥٠- المصدر نفسه: ج ١٤، ص ١٦٩.

٥١- سورة النحل: ٨٩

٥٢- سورة البقرة: ١٨٥

٥٣- تفسير الآلوسي: ج ٧، ص ٤٥٢.

٥٤- التحرير والتنوير: ج ١٤، ص ٢٥٣.

٥٥- تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ١٩٠.

٥٦- التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٤١٨.

٥٧- الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٢٩٩.

٥٨- المصدر نفسه: ص ٣٠٠.

٥٩- سورة فصِّلت: ٥٣

٦٠- تفسير الأمثل: ج ٢٣، ص ١٩٣.

٦١- سورة سبأ: ٢٨

٦٢- تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٠٢-

٢٠٣.
٦٣- تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٣٦-٣٣٧.
٦٤- بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٣٠٨.
٦٥- سورة الفرقان: ١
٦٦- سورة الأعراف: ١٥٨
٦٧- سورة الأنبياء: ١٠٧
٦٨- التفسير المبين: ص ٥٦٦.
٦٩- سورة الشورى: ١١
٧٠- سورة النحل: ٨٩
٧١- تفسير الآلوسي: ج ٧، ص ٤٥٣.
٧٢- تفسير أبن كثير: ج ٤، ص ٥١٠.
٧٣- تقريب القرآن إلى الأذهان: المجلد الثالث، ص ٢٥٢.
٧٤- تفسير النور: المجلد الرابع، ص ٥٤٩-٥٥٠.
٧٥- سورة البروج: ٢١-٢٢
٧٦- سورة الواقعة: ٧٧-٧٩
٧٧- سورة العنكبوت: ٤٩
٧٨- سورة آل عمران: ٧
٧٩- سورة النحل: ٤٣
٨٠- سورة الحديد: ٢٥
٨١- سورة المائدة: ٤٨
٨٢- سورة النمل: ٤٠
٨٣- سورة المائدة: ٤٨
٨٤- بصائر الدرجات: ج ٤، ص ٢٣٤.
٨٥- الكافي: ج ١، ص ٢٢٦.
٨٦- نهج البلاغة: ج ٢، ص ٥٤.
٨٧- الكافي: ج ٧، ص ١٧٦.
٨٨- سورة الإسراء: ٨٨
٨٩- سورة فصِّلت: ١١
٩٠- التوراة والانجيل والقرآن والعلم: ص ١٨١-١٨٢.
٩١- سورة الحجر: ١٩
٩٢- البيان في تفسير القرآن: ص ٧١.
٩٣- سورة الزخرف: ١٠

٩٤- البيان في تفسير القرآن: ص ٧٢-٧٣.

٩٥- سورة النمل: ٨٨

٩٦- سورة الأعراف: ١٣٧

٩٧- سورة الصافات: ٥

٩٨- سورة المعارج: ٤٠

٩٩- المصدر نفسه: ص ٧٤-٧٥.

١٠٠- سورة الذاريات: ٤٧

١٠١- سورة الفرقان: ٥٣

١٠٢- سورة النحل: ١٥

١٠٣- سورة النبأ: ٦-٧

١٠٤- سورة الرعد: ٢

١٠٥- محاضرات في الإلهيات: ص ٣٢٣.

المصادر والمراجع:

من بعد القرآن الكريم.

١- نهج البلاغة. شرح محمد عبده، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢.

٢- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، (ت ١١١١ هـ)، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٣.

٣- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة تأليف الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ هـ، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٤.

٤- الكافي: ثقة الاسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ هـ، الطبعة الرابعة.

٥- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، سنة الطبع ١٤١٦ هـ.

٦- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (المتوفى: ٣٩٥ ه) سنة الطبع ١٤٠٤ هـ.

٧- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، (المتوفى: ٧١١هـ)، سنة الطبع ١٤٠٥.

٨- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢ هـ)، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٤.

٩- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: الحسن بن يوسف بن علي

بن محمد بن مُطهّر الحلي (المتوفى: ٧٢٦ هـ)، المعروف بالعلامة الحلّي، الطبعة السابعة، سنة الطبع ١٤١٧.

١٠- مقدمة أبن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون المغربي (المتوفى: ٨٠٨)، الطبعة الرابعة.

١١- الإتقان في علوم القرآن تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٦.

١٢- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٥.

١٣- الميزان في تفسير القرآن تأليف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى: ١٤٠٢ هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٣١.

١٤- البيان في تفسير القرآن الإمام الأكبر زعيم الحوزة العلمية السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، (المتوفى: ١٤١٣)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٣٦.

١٥ - علوم القرآن:السيد محمد باقر الحكيم (المتوفى: ١٤٢٤)، الطبعة الخامسة، سنة الطبع ١٤٣١.

١٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٥.

١٧- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد:محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣).

١٨- مجمع البيان في تفسير القرآن:

أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى: ٥٤٨)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٥.

١٩- التبيان في تفسير القرآن: أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى: ٤٦٠)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٠٩.

٢٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الفقيه الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (معاصر)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٣٤.

٢١ - تفسير القمي: علي بن ابراهيم القمي (المتوفى: ٣٢٩هـ)، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤٠٤.

٢٢- تفسير نور الثقلين: الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي،(المتوفى: ١١١٢ هـ)، الطبعة الرابعة، سنة الطبع ١٤١٢.

٢٣- التفسير المبين: الشيخ محمد جواد مغنية، (المتوفى: ١٤٠٠)، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٣.

٢٤- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤ هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٩.

٢٥- تقريب القرآن إلى الأذهان: السيد محمد الحسيني الشيرازي، (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٢٤.

٢٦- تفسير النور: الشيخ محسن قراءتي (معاصر)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٣٥.

٢٧- بصائر الدرجات: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (المتوفى: ٢٩٠ هـ)، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤٣١.

٢٨- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: الكاتب الفرنسي موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية، الطبعة الثالثة، سنة الطبع ١٤١١.